مسّاس وخاف على نفسه قال أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم
فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والإنس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الإنس
رهقاً بإغوائهم وإضلالهم لاستعاذتهم بهم **وأنهم** وإن الإنس ظنوا كما ظننتم وهو من
كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وأنهم ظنوا
للجن والخطاب في ظننتم للكفار قريش اللمس المسّ فاستعير للطلب لأن الماسّ طالب
متعرف قال مسسنا من آبائنا شيئاً وكلنا إلى نسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه
والتمسه وتلمّسه كطلبه وأطلبه وتطلّبه ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم
وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها والحرس اسم مفرد في
معنى الحرّاس كالخدم في معنى الخدّام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل
شداداً ونحوه أخاف رجلاً أو ركيباً عادياً لأن الرجل والركب مفردان في معنى الرجّالة
والركّاب والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم
الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب
بمعنى الراصد أو كقوله ومعا جياعاً يعني يجد شهاباً راصداً له ولأجله **فإن قلت** كان
الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوماً للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين **قلت** قال
بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وهو أحد آياته والصحيح أنه كان قبل
المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبي خازم والعير يرهقها
الغبار وجحشها ينقضّ خلفهما انقضاض الكوكب وقال أوس بن حجر وانقضّ كالدرّي
يتبعه نقع يثور تخاله طنباً وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير من دون إلفه أو
الثور كالدرّي يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث
رسول الله كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبّه لها الإنس والجن ومنع الاستراق
أصلاً وعن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت
قوله وإنا كنا نقعد فقال غلّظت وشدّد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وروى

وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه جالس في نفر من
الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا
نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على أن الحادث هو الملء
والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس
والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا
على رسول الله واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق
قلنا ما هذا إلا أمر أراده الله بأهل الأرض ولا يخلو من أن يكون شراً أو رشداً أي خيراً من
عذاب أو رحمة أو خذلان أو توفيق **منا الصالحون** منا الأبرار المتقون **ومنا دون ذلك**
ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم وهم المقتصدون في
الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين **كنا طرائق قدداً** بيان للقسمة المذكورة أي كنا
ذوي مذاهب مفترقة مختلفة أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا في طرائق
مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب أو كانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف الذي هو
الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه والقدد جمع قدّة كالقطعة من قطع ووصفت
الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق في الأرض هرباً حال أي لن نعجزه كائنين في
الأرض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء وقيل لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً
ولن نعجزه هرباً إن طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم
وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أن الله عز وجل غالب لا يفوتهم
يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب **لما سمعنا الهدى** هو سماعهم القرآن وإيمانهم به فلا
يخاف فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبره دخلت الفاء ولولا
ذلك لقيل لا يخف **فإن قلت** أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له
ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال لا يخف **قلت** الفائدة فيه أنه إذا
فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص
بذلك دون غيره وقرأ الأعمش فلا يخف على النهي بخساً ولا رهقاً أي جزاء بخس ولا رهق لأنه لم

Copyright © King Saud University